الحريّة قيمة بطولة وتحدٍّ في الشّعر الثّوري الشّعبي الجزائري
-منطقة قالمة أنموذجًا-

د/ فاتح عيّاد *

د/ مليكة حيمر

مقدّمـة:

إنّ الحريّة أعزّ ما يملك الإنسان ، فهي قوام حياته ووجوده وكلّما كانت هذه الحريّة مصانة ومكفولة كلّما ازدهر المجتمع، لذا توجّب عليه الحفاظ عليها صونًا لذاته وإبقاء لكيانه، فهي الملكة التي تميّز الكائن الحيّ عن غيره من الكائنات الأخرى والتي بموجبها يتمكّن من التصرّف بكلّ طلاقة وحرية من دون إكراه أو إجبار.

لذا حرص أبناء الشعب الجزائري إبان فترة الاستدمار الفرنسي للجزائر على التغني بالحرية وظلّت هي ضالتهم المنشودة في كفاحهم ضدّ من سلب أرضهم واغتصب بلادهم، فواكب الشعر الشعبي تلك الأحداث وصوّرها أحسن تصوير، وهذا ما يبدو واضحا في كثير من القصائد الشعبية الثورية التي تغنّت بقيمة الحرية وأصرّت على استرجاعها مهما كلّف ذلك أبناء الجزائر الغالي

* فاتح عياد

المجلد01/ العدد02 2021. ص 56- 66

أوّلا- مفهوم الحرية:

أ-لغةً:

ورد المفهوم اللّغوي لهذا اللفظ في اللّغة العربية بقوام " الحُرُّ خلاف العبد"[1]، وفي شرح معاني كلمة الحريّة: "والحُرُّ بالضّم: نقيض العبد والجمع أحرار وحرار، الأخيرة عن ابن جني عثمان الموصلي (322-392هـ)، والحرّة: نقيض الأَمَة والجمع حرائر. وحرره، وفي الحديث من فعل كذا وكذا فله عدل محرّر أي أجر معتق، المحرِّر الذي جعل من العبيد حرًّا فأعتق، يقال: حرّ العبد يحر حرارة بالفتح أي صار حرّا"[2]

يقول صاحب معجم مقاييس اللغة: الحاء والرّاء في المضاعف له أصلان: الأوّل ما خالف العبوديّة والثّاني خلاف البرد [3]

فكلمة "حريّة" في تصاريفها تدور حول الخلوص من العبودية، فيؤول معنى الحرّ إلى الكريم و الأصيل من كل شيء.

ب- اصطلاحًا:

تعني الحريّة قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية، وهي ملكة خاصة يتمتع بها كل إنسان عاقل ويصدر بها أفعاله بعيداً عن سيطرة الآخرين، أي أن الإنسان قادر على التصرف في شؤون نفسه، وفي ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألّا يكون في تصرّفه عدوان على غيره.[4] يعني هذا أنّ الحرية مرادفة للاستقلالية وهي نقيض العبودية، فالإنسان خلق حرا وعليه أن يبقى حُرّا.

ج-مفهوم الحريّة عند العرب:

تعدّدت تعريفات الدارسين العرب لمصطلح الحرية كلّ حسب وجهة نظره وثقافته الخاصّة إلاّ انّها جميعا تصبّ في دائرة الانفلات من القيود والاستعباد، قال محمد سعيد رمضان البوطي :"قد يراد بالحرية أن يملك الإنسان إصدار قراراته السّلوكية في حق نفسه بمقتضى إرادته الشّخصية، دون أن يعارضها أي قسر من أشخاص أمثاله"[5]. ثم يقول عن الحرية" فتلك فطرةٌ فطر الله الإنسان عليها، ومن ثمّ فهي حقٌّ من حقوقه الشّخصية التي يجب أن ينالها"[6] يعني هذا أنّ الحرية حقّ من حقوق الإنسان فكما خلقه الله حرا وجب أن يبقى حرا.

ويؤكد عبد الله العروي في مسألة التشبث بالحريّة عند الفرد داخل المجتمع، أنه يحتاج إلى أمرين اثنين: الأوّل إثبات الحريّة كحق أصلي ضروري بديهي لا يقبل النقاش أو المنازعة، والثاني هدف تتعين فيه الحريّة المجرّدة المطلقة .وهذان الأمران متوفّران لدى الشّخص من خلال تجربته اليومّية، لا حاجة إلى التدليل على أنّ الحرية حقٌّ طبيعيٌّ مادامت الحياة تستلزمها وتحتمها"[7]. فالعروي يرى أنّ ما يجعل الفرد شخصاً وإنساناً قائم الذات هو الشّعور بأنّ الحرية بديهية ومتوفرة.

فالحرية التي حصرناها في التخلص من القيود والسيطرة لا تعني الحرية السلبية التي تؤدي بالفرد إلى ارتكاب الجرائم والسلوكات الدنيئة، إنّها الحرية الإيجابية التي تسمو بالنفس البشرية إلى أعلى الدرجات.

د- عند الغرب:

لايزال المنطلق الليبيرالي هو السّائد وصاحب الصّوت المدوّي خاصةً في المجال السّياسي المعاصر وذلك بعد تراجع المنطلق الاشتراكي، وأهم ما يميّز الحريّة عند الليبيراليين تأكيدها على النّزعة الفردية وإزاحة القيود والمعوقات من أمام الفرد، و من أقطاب

هذا الفكر الليبيرالي نجد جون ستيوارت ميل الذي ألّف كتابًا في هذا الصّدد بعنوان " في الحريّة"[8]

وإلى جانبه نجد الليبيرالي برتراد راسل الذي عرّف الحريّة بأنّها "غياب الحواجز أمام تحقيق الرّغبات"[9]

أمّا هيغل فيرى أنّ "الحرية هي العنصر المكوّن لمفهوم الإنسان، إنّ الوعي بهذه الحقيقة قد عمل عبر التاريخ كغريزة مدّة قرون وقرون، وحقّقت تلك الغريزة تغيّرات عظيمة، لكنّ القول إنّ الإنسان حرٌّ بطبعه لا يعني بمقتضى كيانه الملموس بل يعني بمقتضى ما تعنيه ومفهومه"[10].

يبدو حسب التعريفات السابقة أنّ الحرية قيمة إنسانية كبرى تعني انعدام القيود والتمتّع بالاستقلالية الفردية لكن شرط ان تمارس الحرية الإيجابية التي تهدف إلى الرقي الازدهار والسمو عن كل ماهو دنيء.

هـ- <u>نظرة الشريعة الإسلاميّة لمفهوم الحرية:</u>

يمكن الوقوف في تعريف الحريّة في الفقه الإسلامي عند تعريف الدريني[11] الذي يقول فيه: "الحريّة هي المكنة العامّة التي قرّرها الشّارع للأفراد على السّواء، تمكينًا لهم من التّصرّف على خيرة من أمرهم دون الإضرار بالغير"[12]

وقد رفض القرآن الكريم أن يُكرَه إنسان على اعتقاد مَا، قال تعالى ﴿ **لا إكراه في الدِّينِ** ﴾[13] ، أورد الطبري نزلت الآية في قوم من الأنصار أو في رجلٍ منهم كان له أولاد قد هوّدوهم، أو نصّروهم، فلما جاء الإسلام أرادوا إكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتّى يكونوا هم الذين يختارون الدّخول في الإسلام[14].فليس لبشر أن يُكرِه بشرًا ولو كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وبالمثل لا يُكرَه المسلم على اتّباع المشركين[15] .

لنخلص من هذا أنّ الحريّة في الإسلام ارتكزت على حريّة العقيدة، و لأجل هذا كان الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق ونيل الحريّة، فهي شمس يجب أن تشرق في كلّ نفسٍ، فمن عاش محروماً منها عاش في ظلمة حالكة، ولا سبيل إلى السّعادة في الحياة إلا إذا عاش الإنسان فيها حرًّا طليقًا.

<u>ثانيا- الحريّة والشّعر الثّوري الملحون:</u>

عُرف مصطلح الحريّة منذ القِدم، فقد كانت الشّعوب تكافح من أجل استرجاع الحريّات، وبعيدًا عن التّعريفات الفلسفيّة فإنّ الحريّة في المفهوم الشّعبي مرادفة للفظ الاستقلال، وإن كانت الحريّة أشمل.

وقد تطوّر مفهوم الحريّة، فاتخذ مضامين عدّة: سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وثقافيّة، ودفع شعار الحرية معبّرًا عن توق الإنسان العربي للاستقلال والحياة الكريمة واسترجاع الأمجاد التاريخية. وفي هذا الصّدد يقول أحد الباحثين: "إمّا أن نحيا أحراراً أو نموت أحراراً، وإذا كان لابدّ من هلاكنا فعلينا أن نموت كما يليق بالأحرار، وإذا لم تكونوا أحراراً من أمّة حرّة فحريّات العالم عارٌ عليكم"[16]. فهو يوضّح لنا أنّ الحريّة لا يفهمها إلّا أصحاب النّفوس الكبيرة، الذين يرون الحياة حريّة وعزّة، وأنّ دماءهم رهنٌ لحريّة أمّتهم وسيادتها، ولاسيما المضطهدين في الأرض، فكلّما ازداد القيد صعوبةً كلّما ازدادت الحريّة حريّة، "فالشّاعر وهو ينظم لفظه في قصيدة أكثر حريّة ممّن يقذف بكلماته قذفًا ... لأنّه يضع أمام نفسه

صعوبات الوزن ليغلبها وكأنّها ليست عقبة في الطّريق"[17].

وإذا ما طبّقنا هذه النظرة في مفهوم الحريّة على الشّعوب المضطهدة لوجدنا تلك العقبة تكمن في الاستعمار، "فغدت الحريّة بذلك هدفاً لنضال الشّعوب المستضعفة والطبقات المضطهدة والضّمائر الطّيبة أكثر منها مادّة لتأمّلات المفكّرين، اللهمّ إلاّ أن يكونوا مفكّرين سياسيّين وقانونيّين يضبطون مجالات الحريّة في إعلاناتهم لحقوق الإنسان وفي الدّساتير ولدى حديثهم عن نشأة الدّولة ..."[18]

عُدّت منطقة قالمة ملاذًا ومأوًى ذا حصانة للمجاهدين، لما لها من طبيعة وعرة وقاسية، من سهول، وجبال ووديان، لا يطأها إلاّ ذوي الصّلابة والبأس أمثالهم، فبات الشّعر الشّعبي الثّوري في هذه المنطقة رمزًا من رموز الثّورة والكفاح، وكان له دور كبير في إبراز الرّوح الوطنيّة المتأجّجة، ذات البُعد الرّوحي الإسلامي العميق، والحجّة الدّامغة على فشل السّياسة الاستعمارية التي لم تدّخر أيّ جهد من أجل زرع الفُرقة بين الإخوة في الله والوطن والحضارة والتاريخ، كما يعدّ مرآةً عاكسةً لأوضاع أهل المنطقة، واستخلاص الجواهر الحِسان في اللّسان القالمي.

ثالثا-<u>الحرية في الشعر الثوري الشعبي بمنطقة قالمة:</u>

تغنّى الشعر الثوري الشعبي الجزائري بالحرية كقيمة بطولية فَقَدَ من أجلها أبناء الوطن الغالي والنفيس لاستردادها كحق شرعي سلبه إيّاه المستدمر الفرنسي الغاشم ، فكان الفرد الجزائري آنذاك يتوق إلى الاستقلال والحياة الكريمة واسترجاع الأمجاد التاريخية. وكانت الحرية هي المبتغى المنشود الذي لاقى من أجله أبناء الجزائر الذلّ والهوان، وهذا ما أكّده الشاعر الجزائري **محمد العيد آل خليفة** حين قال:[19]

قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى المَيَادِينِ نَغْزُو وَ رَجَعْنَا مِنْهَا بِـــالاسْتِقْلال

إنَّ حُرِيَّـــةَ الجَزَائِـرِ حَقٌّ لَيْسَ فِيهَا مِنْ رِيبَةٍ أَوْ جِدَال

وهذا ما نجده أيضا في القصيدة الثورية الشعبية الجزائرية بمنطقة قالمة، حيث تغنّى الرجال والنساء بالحرية والنصر الذي ظلّ مساندا للثورة طيلة مرحلة الكفاح المسلّح، يقول الشّاعر الشّعبي في ذلك [20]:

أَحْنَا طَـالْبِينْ الحرِيَّـة غْمُرْنَا مَا كُنَّا فْرَانْسِيسْ

إِذَا كُنْت حُـرْ ظْرِيـفْ اَسْتَعْرَفْ أَنْتَ يَـا رْخِيسْ

جِيشْ التَّحْرِيرْ مَا يَقْبَلْ غِيـرْ الشـــيء النفِيسْ

يصرّح الشاعر برغبته هو وأبناء وطنه في العيش بسلام في أرضه حرّا مستقلا، ولا يقبل أن يكون عبدا لفرنسا الظّالمة، فهو يخاطب العدوّ الفرنسي بنبرة تحمل بين ثناياها كثيرا من السخط والغضب، والنقمة عليه ، ويتحدّاه إن كان لديه ذرّة كرامة أن يعترف باغتصابه حرية الشعب الجزائري، ولذا نجده يؤكّد أنّ جيش التحرير لم يستسلم للعدو ولم يرضخ، بل ناضل وكافح من أجل استرجاع كرامته؛ لأنّه لا يقبل أن يُهان أو يعيش حياة المذلّة. كما تغنّت الأرامل في أكواخهنّ بالحرية وكذا الثوار في ساحة الوغى. يقول الشاعر الشعبي:[21]

الطَّـــاهَرْ الفَلْفُـــولي يَضْرَبْ بَالْفَارَا وَ العْشُورِي

قَـالهَا يَا فَرَنْسَـــا ثُورِي بَزْكَاك مَنْ ضَرْبَـة لأَحْـرَارْ

نلمس في هذين البيتين خطاب القوّة والتحدي الكبير للعدو الفرنسي من خلال السلاح المستعمل من طرف المجاهد الطاهر بوفلفل في قتاله العدو (القارا، العشوري) إضافة إلى خطاب فرنسا بنبرة السخرية، حيث أمرها الشاعر بأن ترحل من أرض الجزائر وأن تكفّ من ضرب الأحرار، فالشعب الجزائري حرّ وسيبقى حرّا مدى الأبد؛ لأنّ الحرية حقّ من حقوقه مثله مثل باقي شعوب العالم الأخرى، ففي أواخر ستّينيات القرن الماضي أصبح جلّ الشّعب الجزائري مُنْظَمًّا تحت لواء جبهة التّحرير الوطني، ولم تستطع قوّات الاحتلال الفرنسي أن تنال من قوّات الثّورة المسلّحة، وهذا العجز جعلهم يحتارون أكثر فأكثر، وفي الخامس من شهر أوت سنة 1958م قام فوج بقيادة "الطاهر بوفلفل " المدعو "الفلفولي" بتحطيم الطّريق الرّابط بين قالمة وسدراته بكاف المخدوم بناحية ماونة [22].

3-1- ثمن الحريّة:

استطاع الشّعب الجزائري استرجاع حريّته المسلوبة، وسيادته الوطنيّة من خلال عدّة مقوّمات، لعلّ أبرزها التّضحية و قوّة الإرادة.

أ- التّضحية:

عاش الجزائريون ردحًا من الزّمن تحت وطأة الاستدمار الفرنسي، لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة الوطن والوطنية لأنّها تؤدّي إلى الهلاك المؤكّد، وبفضل نضال السّاسة، والزّعماء، ورجال الإصلاح، أصبح النّاس يصدعون بمطالب وطنية تخصّ الوطن، والشّعب، والهويّة، والحريّة، والاستقلال . حيث كان شعار ابن باديس (**الحق فوق كلّ أحد والوطن قبل كلّ شيء**)، وأكّد أنّ الوطنية الحقّة هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوّناتها، وعلى الأمّة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها [23].

تشمل الوطنية حسب ابن باديس كلّ ما من شأنه أن يحافظ على كيان الإنسان وهويته وإنسانيته. وصدق الشاعر أحمد شوقي حين قال [24] :

وَ مَا نَيْلُ المطَالِبِ بِالتَّمَنّي وَ لَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا

يتطلّب تحقيق المطالب وجود الأسباب، كما يتطلّب تحقيق الحريّة دماءً طاهرة، وتلك هي التّضحية، التي نلحظها كثيرًا في الشّعر الثوري الشعبي المتعلّق بالحريّة، إذ غدا كلاهما لصيقًا بالآخر لا يفارقه، فلا حريّة بلا تضحية، ذلك أنّ " تحدّي الموت وقهره يحمل في النّهاية معنى الانتصار على القهر والرّضوخ الذّين يعنيان موتًا معنويًّا و وجدانيًّا" [25].

وقد أكّد الشّعب الجزائري أنّ الجزائر لن تكون دولةً فرنسيةً، وأقسم على أنّ فرنسا لن تنال أطماعها الدّنيئة؛ لأنّها تتعامل مع أناسٍ لا يرهبون الموت، بل يرونه عزّة وكرامة. يقول الشاعر الشعبي مخاطبا فرنسا [26]:

يَا فَرَنْسَا رَبِّي يَهْدِيـكْ لَافْرِيـكْ رَاهُو خَاطِيكْ

طِيرِي يَا فَرَنْسَا طِيرِي وَ الله مَا تَدِّي لَا لجِيرِي

شُبَّانْ وطَلَبُوا التَّضْحِيَّة

يوجّه الشاعر خطابه إلى فرنسا (العدو الفرنسي) مؤكّدا له أنّ الجزائر ليست ملكا له، فيأمرها أن ترحل على الفور من بلاده وأقسم قسما مؤكّدا على أنّ فرنسا لن تستطيع ضمّ الجزائر إلى أراضيها، ولو كلّفهم ذلك التضحية

بأرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الحقّ ومحق الظلم والسيطرة والاستعباد، ذلك أنّ الشّعب الجزائري شديد التمسّك بأصالته ، يعي جيدًا معنى التّضحية و يحب أن يعيش معزّزًا، ومكرّمًا، وحرًّا على أرضه ، وبالفعل فإنّ بسالته، وشجاعته، وقوّته سحقت أوكار المستعمر، واستأصلت آثار الظلم والطغيان ، فطهّر أرضه من رجس العدو وملأ تاريخه بالبطولات المظفرة، فأزال فرنسا وأنهى وجودها من الجزائر.

فكم من فارس لفظ أنفاسه في ساحة الوغى، والتحق بالأبطال الرّاحلين ليكتب صفحةً أخرى في كتاب الثّورة . قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [27]. فالجهاد في سبيل الله حقّ لمن اغتصبت أرضه واستزفت ثرواتها.

خُلق أبناء الجزائر ليعيشوا أحرارًا وينعموا بأجواء الحريّة الفسيحة التي لا تعرف قيدًا، ولهذا ضحّوا بأنفسهم من أجل تحقيقها، وتأكيدها، فواصلوا الكفاح حتّى النّصر الذي سجّلوه بدمائهم، وسطّروه بأرواحهم. يقول الشاعر الشعبي:[28]

المجاهْدِينْ يَـا الهمَّـــة أَعْطِيوْنِي رُخْصَة نْشُـــوفْ يُمّتَه
لحَضْرَتْ المُوتْ نْمُوتْ ثَمَّـــة نَضْرَبْ عْلَى دِيني وَ نْحَرَّرْ بْلَادِي

يمدح هذا المجاهد إخوانه أصحاب الهمّم العالية، و يستأذنهم في أخذ فرصة لزيارة والدته التي التاع قلبها فراقًا، و أبدى استعدادًا منه لاستقبال الموت، والاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق والدّين، وتحرير الوطن.

كما يحثّ الشاعر الشعبي المجاهدين على الاتّحاد والتكاتف من أجل نيل الحرية، فيقول:[29]

يَـا خُـوتِي المُجَاهْدِينْ كُونُوا خَـاوَة مُتَّحْدِيـــنْ
إذَا مَتُّوا مُوتُو عَالدِّينْ و إذَا عَشْتُو جِيبُو الحرِيَّة

خيّر الشاعر إخوانه المجاهدين بين أمرَين كلاهما حلو، فإمّا التّضحية والاستشهاد، وقد ربط هذا الخيار بالدّين لما أعدّه الله تعالى من أجرٍ عظيمٍ في الآخرة، قال عزّ وجل : ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [30]. وإمّا مواصلة الجهاد والكفاح، وقد ربطه بالأجر الدُّنيوي الذي يكمن في نيل الحريّة والاستقلال.

-قوّة الإرادة:

نقصد بقوّة الإرادة، هنا، تلك الرّوح المفعمة بقوّة الإيمان؛ الإيمان بعدالة الخالق، والإيمان بالهدف السّامي الذي نسعى إلى تحقيقه، فرسولنا الكريم –صلّى الله عليه وسلّم- علّمنا من خلال أحاديثه الشّريفة بأنّ الله تعالى حثّنا على توفير الأسباب لنيل المطالب، وقوّة الإرادة تدفع بصاحبها إلى الاجتهاد و العمل، كذلك فعل الثوّار عندما تسلّحوا بالعزيمة فلم يقبعوا في بيوتهم منتظرين الفرج، بل سعوا جاهدين إلى تقديم أسباب النّصر.

و في موضع آخر يقول الشاعر متحدثا عن قوة إرادة وعزيمة الثوّار في محاربة المستدمر الفرنسي [31]:

كِـي اسْتَشْهَدْ بَلْخِيـــرْ الحُـــوَّاسْ وَاشْ دُورْ يْدِيرْ

جابَتْلُو دُوبَـلْ كُوبْتِيـرْ حَطَّتْلُـو فِي كُـلْ انْحـيَّة

قَالّهَا لُو كَـانْ اطِّيـرْ يَا فْرَانْسَا بْرَبِّي نْدِّيوْ الحُرِيَّة

يتطلّب تحقيق الحرية قوة الإرادة والصبر والعزيمة، وهذا ما يبدو واضحا في قول الشاعر الشعبي متحدّيا فرنسا بكلّ السبل والوسائل المتاحة في أن يسترجع حرية بلاده المسلوبة، فمهما فعل الاستدمار الفرنسي بأبناء الوطن، ومهما بلغت قوة ترسانة أسلحته إلاّ أنّ الثوّار وقفوا صامدين في وجهه وعزموا على استرجاع حرية بلادهم، فلا ينفع فرنسا في ذلك سلاحها القوي ولا كثرة جيشها، بل قوّة الإرادة والعزيمة هي السلاح الناجع في مثل هذه الحالات من أجل تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية للجزائر.

- فرحة الاستقلال:

كما يقال "**بعد الشدّة يأتي الفرج**" ، فبعد أن عانت الجزائر ويلات المستدمر الغاشم سبع سنوات ونصف أكلت فيها الأخضر واليابس، وعانَى شعبها من الجرائم البشعة التي سلّطها العدو عليه، كانت الضّرورة ملحّة لرفع الظلم والاستبداد والعبث، وبالفعل تمكّنت الثّورة المظفّرة من القضاء على الاستدمار الفرنسي الغاشم، الذي لم يكن أمامه سوى رفع راية الاستسلام، والاعتراف بالدّولة الجزائرية، فكانت فرحة الاستقلال عارمة ، تُوِّجت بالزّغاريد وإطلاق الرّصاص، وحمل الأعلام الجزائرية، وعلت الهتافات. يقول الشاعر الشعبي معبّرا عن فرحة أبناء الجزائر بالنصر[32]:

وَاحْنَا حَرَّزْنَاهْ (54-62) و جَاء النَّصْر المُبِينْ

هَزِّيـنَـا لَعْلَامَـاتْ فَكِّيـنَا لَبْـرَاوَاتْ

و زَدْنَـا الوِلايَـاتْ

أذيع في كلّ إذاعات العالم نبأ توقيف القتال ووقف إطلاق النار، فقد جاء اليوم الموعود الذي انتظره الجزائريون، والذي استشهد من أجله مليون ونصف مليون شهيد.

هَـزُّوا لَعْلامَـاتْ هَـزُّوا لَعْلامَـاتْ

افْرْحُوا يَا سَادَاتْ الجَزَايَرْ رَاهَا حْيَاتْ

يردّد الشاعر عباراته فرحًا بيوم الاستقلال، وعودة الجزائر إلى الحياة، إشارة إلى ما كانت تعانيه إبان الاحتلال من قهر وظلم، وتعبيرًا عن هذه الفرحة التي لا توصف، يدعو أبناء الوطن إلى حمل الأعلام لترفرف عاليًا على أرض الشّهداء.

في هذا اليوم العظيم "يوم الاستقلال"، وفي غمرة هذا الجو الحركي النّشِط الذي لم تعشه الجزائر منذ أمدٍ بعيدٍ نسيت الثّكالى فلذات أكبادهن، ونسيت الأرامل أزواجهن، وخرجن جميعًا للاحتفال بهذا النّصر البهيج رفقة إخوانهن و أخواتهن من أبناء الوطن. يقول الشاعر معبّرا عن فرحة النساء بالاستقلال[33]:

حِينْ اسْمَعْنَا صَوْتهَا الأَرْضْ دْوَاتْ المَتْعَقَّنْ قَـالْ وَ نْطَقْ اللسَانْ

أبْطَـالُو تَتْسَـابَقْ لَلتَّضْحِيَـاتْ وَ الشُّهَدَاءْ فِيهْ هُمْ العَرْسَانْ

عَرْسْ الثَّوْرَة صَارْ بَـارُودْ ونْحَاتْ وَ زْغَـارِيدْ بْنَاتْنَا ذِيكْ أُوزَانُو

اعتمد صاحب المقطع مبالغة في توظيف هاتين العبارتين : "**حين اسمعنا صوتها الأرض دوات**" أي اهتزّت الأرض عند سماع خبر الانتصار، و"**المتعقن قال وانطق اللسان**" بمعنى نطق الأبكم لشدّة انفعاله بهذا

النّبأ، مُعلنًا أنّه يوم حدوث المعجزات، ومُشيدًا بأصحاب الفضل في هذا الانتصار، ألا وهم الشّهداء الذين ضحُّوا بأرواحهم، لذا فهم أهلٌ بهذا العرس، عرس امتزجت فيه طلقات الرّصاص مع زغاريد النّسوة، لتشكّل بذلك أحلى الأوزان والنّغمات الموسيقيّة. جميلة هي تلك اللّفتة من الشّعب الجزائري للتّنفيس عن كربه الذي عاشه طوال سنوات الاحتلال، وبذلك عبّرت الأغنية الشّعبية، وبسياقات مختلفة كلّ حسب ما جادت عليه خاطرته وقريحته.

خـاتمة:

نستطيع القول إنّ القصيدة الثورية الشعبية الجزائرية بعامّة والقالمية منها بخاصة عبّرت عن الحرية كقيمة إنسانية وكهدف منشود ضحّى من أجله أبناء الجزائر بالنفس والنفيس في سبيل استرجاعه، ولم تكن الحرية لتسترجع لولا التضحيات الجسام التي كابدها هؤلاء وقوة العزيمة والإرادة التي نلمح فيها الكثير من التحدي للعدو الفرنسي الغاشم، فعلى الرغم من بساطة السلاح المستعمل من قبل المجاهدين إلاّ انّ الصبر وقوة العزيمة والإرادة فاق كلّ سلاح، فكانت الحرية هي المبتغى الذي تحقق في الخامس من شهر جويلية عام 1962م. وقد مثّلته القصيدة الثورية الشعبية في منطقة قالمة أحسن تمثيل من خلال تغلغلها في أوساط المجتمع الشعبي وبعث الحماس وقوة الإرادة فيه.

الإحالات والهوامش:

1) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد و الأنباء، الكويت، 1385هـ-1965م ، ج10، ص 573

2) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1، ج4، ص181

3) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ 2/6.

4) مفهوم الحريّة في الإسلام وفي الفكر الغربي: رؤية بانورامية، عزيز العرباوي، ص05

5) حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1413 هـ1992 / م، ص21

6) حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، محمد سعيد رمضان ، ص 25

7) مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط6 ، 2002 ، ص17

8) موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، بدون رقم للطبع، ص244

9) مفهوم الحريّة في الإسلام وفي الفكر الغربي: رؤية بانورامية، عزيز العرباوي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المملة المغربية-الرّباط، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 26 ماي 2016، ص6

10) جدل الحرية والتاريخ عند هيغل ،منيرة محمد، مجلة جامعة دمشق، 2014، المجلد30، العدد1 +2 ، ص 514

11) فتحي عبد القادر الدريني تميّز في أصول الفقه والفكر، ولد في مدينة الناصرة بفلسطين، عام 1923م، توفي في الأردن في تاريخ 2013/6/1م.

12) أسس الحرية في الفكر الغربي، ناصر بن سعيد بن سيف السيف، ط1، 1438هـ — 2017م، ص11

13) سورة البقرة، الآية 256

14) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، الطبري، هذّبه وحقّقه: بشار عوّاد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م، المجلد2، تفسير الأية 256 من سورة البقرة

15) مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية: رؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة، بشير عبد العالي شمام، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد12، شعبان 1429، أغسطس 2008م، ص209

16) الحريّة بين المفهوم و الممارسة، عائد عم علي، مجلة تحولات، العدد 5، تشرين الثاني، 2005، الموقع:
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=168

17) عن الحرية أتحدث، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة — بيروت، ط3 ،يناير 1989، ص 18

18) الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص32

19) ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة-الجزائر، 2010م، ص 390

20) منقولة عن طريق السّماع: محمد روابحية ، 65 سنة، بوحشانة، بقالمة

21) منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

22) حرب التّحرير الوطني عبر ولاية قالمة (نوفمبر 1954-19 مارس 1962)، أوت 1997، ج1.

23) مجلّة الشّهاب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، الجزائر، ج7 ، 13 سبتمبر ، 1937م، ص:306.

24) كتاب الشّوقيات، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص71

25) دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، عبد القادر خليفي، ، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005، ص 51

26) منقول عن طريق السّماع: علال بلمير، 85 سنة، بوعاتي محمود، ولاية قالمة.

27) سورة الأحزاب، الآية 23

28) الحرية و التضحية في الأغنية الشعبية – ولاية قالمة نموذجا -، عبد العزيز بومهرة، ، الملتقى الوطني: الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة، مخبر الدّراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، ، ص1

29) الحرية و التضحية في الأغنية الشعبية، المرجع السّابق، عبد العزيز بومهرة، ص 3

30) سورة النّساء، الآية 74

31) منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

32) منقولة عن طريق السّماع: يمينة عياد ، 60 سنة، بوحشانة، ولاية قالمة.

33) منقولة عن طريق السّماع: فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم

أوّلاً/ المصادر:

1-الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

2-علال بلمير، 85 سنة، بوعاتي محمود، ولاية قالمة.

3- فاطمة مكي، 90 سنة، قالمة

4-محمد روابحية ، 65 سنة، بوحشانة، بقالمة

5-نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

6-يمينة عياد ، 60 سنة، بوحشانة، ولاية قالمة.

ثانيًا/ المراجع:

- الكتب العربيّة:

7-أسس الحريّة في الفكر الغربي، ناصر بن سعيد بن سيف السيف، شبكة الألوكة، ط1، 1438هـ - 2017م.

8- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، الطبري، هذّبه وحقّقه: بشار عوّاد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م، المجلد2.

9-الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1993.

10-حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1413 هـ 1992م.

11-دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، عبد القادر خليفي، ، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005

12- ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة-الجزائر، 2010م، ص 390

13-عن الحرية أتحدث، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة- بيروت، ط3 ،يناير 1989م.

14-كتاب الشّوقيات، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، ط1، 1988، ج1.

15-مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط6، 2002 م.

16-الحقوق والحريّات السياسية في الشريعة الإسلامية، رحيل محمد غرايبة، دار المنار، الأردن-عمان، ط1، 1421هـ.

- المعاجم:

17-تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستّار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، 1385هـ-1965م ، ج10.

18-لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط1، ج4.

19-معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ 2/6.

- المجلات والأبحاث:

20-جدل الحرية والتاريخ عند هيغل ،منيرة محمد، مجلة جامعة دمشق، 2014، المجلد30، العدد1 +2

21- حرب التّحرير الوطني عبر ولاية قالمة (نوفمبر 1954-19 مارس 1962)، أوت 1997، ج1.

22- الحريّة بين المفهوم و الممارسة، عائد عم علي، مجلة تحولات، العدد 5، تشرين الثاني، 2005

23-الحرية والتضحية في الأغنية الشعبية – ولاية قالمة نموذجا -، عبد العزيز بومهرة، ، الملتقى الوطني: الأدب الجزائري في مواكبة قضايا الأمة، مخبر الدّراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة.

24-مجلّة الشّهاب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، الجزائر، ج7 ، 13 سبتمبر ، 1937م

25-مفهوم الحريّة في الإسلام وفي الفكر الغربي: رؤية بانورامية، عزيز العرباوي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المملكة المغربية- الرّباط، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 26 ماي 2016

26- مقصد الحرية في الشريعة الإسلامية: رؤية في الموازنة بين الحريات الشخصية والمصالح العامة، بشير عبد العالي شمام، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد12، شعبان 1429، أغسطس 2008م، ص209

27- موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979م.